



العقيدة (٣)

أعدّها : أبو عبدالمحسن - ١٤٣٦ هـ

مهَيِّدًا :

إن أصول تلقي الاعتقاد عند أهل السنة ومخالفهم تتفرع إلى خمسة مناهج :

- (١) المنهج النقلي : لأهل السنة والجماعة.
- (٢) المنهج العقلي : المعتزلة والأشاعرة.
- (٣) المنهج الذوقي : الصوفية.
- (٤) المنهج العاطفي : الشيعة.
- (٥) المنهج السري الباطني : للدروز والنصيرية.

أركان الإيمان ومكانتها

أركان الإيمان وأصوله عند أهل السنة والجماعة ستة؛ ورد ذكر بعضها في خواتيم سورة البقرة ، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل- لهما شأن عظيم ليس لغيرهما : ففي الصحيحين عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب : معنى كفتاه أي : من شر ما يؤذيه.

ومما ورد في فضل هاتين الآيتين ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال : (هذا باب فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم ، وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة، لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته)

﴿ الإيمان بالملائكة ﴾

قال الطحاوي رحمه الله : [ونؤمن بالملائكة والنبیین...]

الملائكة لغة : ملك أصلها مألك من الألوكة، وهي الرسالة، وشرعاً : الملائكة هم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، ليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}.

ذكر الملائكة في القرآن والسنة

القرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتهم، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلماذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان وأصوله العظام، قال تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم..}، وقال تعالى : {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور..}، وقال تعالى: {وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم..}، وقال تعالى : {كرام بررة}، وغيرها من الآيات التي يَقْرِنُ الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، ويصفهم بالكرم والطهارة والإخلاص.

بعض أصناف الملائكة

وَكَلَّ اللهُ سبحانه ملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب والمطر، وملائكة بحفظ أعمال العباد، وملائكة بالرحم، وملائكة بالموت، وملائكة بالسؤال في القبر، ورؤساء الملائكة الموكلون بالحياة ثلاثة :

- جبريل عليه السلام : الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.
- ميكائيل عليه السلام : الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان.
- إسرافيل عليه السلام : الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين].

قال تعالى : {وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون}، جاء في التفسير : اثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، وملاك يحفظانه، واحد من ورائه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، والملائكة

تكتب القول والفعل، وكذلك النية لأنها فعل القلب، ويشهد لذلك قوله ﷺ : (قال الله ﷻ : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا) أخرجه البخاري ومسلم.

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين].

قال تعالى : {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون}

المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

قد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وليس الواجب علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل ولكن نسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة

الإيمان بالكتب المنزلة - الإيمان بالرسول ﷺ

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بالملائكة والنبیین، والكتب المنزلة على المرسلین، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين].

نؤمن بما سعى الله تعالى من الكتب المنزلة على المرسلين في كتابه، من التوراة والإنجيل والزيور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله.

ويزيد الإيمان بالقرآن على غيره من الكتب : الإقرار به، واتباع ما فيه، قال تعالى : {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا..}

عدم الجدل في القرآن

قال الطحاوي - رحمه الله : [ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً صلى الله عليه وعلى آله أجمعين وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين].

قوله (لا نجادل في القرآن) : أي لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا وجادوا بالباطل ليدحضوا (ليزيلوا) به الحق، كما لا نجادل في القراءات الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح. وقوله (نزل به الروح الأمين) : مأخوذة من آية سورة الشعراء والروح الأمين : هو جبريل عليه السلام ، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب.

اللوامز الباطلة على القول بخلق القرآن

قال الطحاوي - رحمه الله : [ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين]، المعتزلة هم من قال بخلق القرآن ، وبهذه المسألة حصلت المحنة لإمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه. ويلزم على القول بخلق القرآن اللوامز الباطلة الآتية :

- (١) إنكار صفة الكلام لله عز وجل.
- (٢) أن القرآن يجوز نقده ووصفه بالتحريف والزيادة والنقصان.
- (٣) إبطال دلالة القرآن وإسقاط مرجعية النص القرآني لأنه أمر الله وليس خلقه حيث إن الأمر يكون عن طريق الكلام.

الإيمان بالرسول إجمالاً، وبمن سمي الله في كتابه تفصيلاً

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بالملائكة والنبیین..]

علينا الإيمان بمن سمي الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بان الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، علينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، قال تعالى : {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك..}، ومما يجب في هذا الباب أيضاً الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، وبينوه أتم البيان، وأما الإيمان بنبينا محمد صلوات الله عليه فتصديق واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

عدم التفريق بين أحد من رسل الله

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به].

من آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، فهو كافر بالكل، قال تعالى : {ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً..}.

﴿ أبحاث في النبوة والرسالة ﴾

أولاً: الفرق بين النبي والرسول.

قال الطحاوي - رحمه الله : [وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله المرتضى].

ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها : ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النبوات، وهو : [أن النبي من أوحى إليه، ويبلغ ما أوحى إليه لكنه لم يرسل إلى قوم كافرين قال تعالى : {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي..}، فذكر أن الإرسال يعم الرسول والنبي، والرسول من أرسل إلى قوم كفار يدعوهم للتوحيد، فنوح أول الرسل ، وكان قبله أنبياء كآدم وشيث وإدريس عليهم السلام، وليس شرطاً أن يأتي بشريعة جديدة، كيوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم].

ثانياً : إثبات النبوة.

ذهب أهل الكلام إلى تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات وحصر إثبات النبوة بهذا الطريق وعليه أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك من خوارق العادات لغير الأنبياء، وعند أهل السنة يكون إثبات النبوة :

- بالمعجزات.

- بقرائن الأحوال.

حيث إن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ونحن نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء أنهم كانوا صادقين وذلك من وجوه :

- أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وتحقق هذا كغرق فرعون وغرق قوم نوح وغيرها .

- ما جاء به الرسل من الشرائع تبين أنهم أعلم الخلق وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل.

ثالثاً : بين النبوة والولاية.

قال الطحاوي - رحمه الله : [ولا نفضل احداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء].

يشير الطحاوي - رحمه الله - إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة الذين ادعوا أن الولاية أعظم من النبوة، والصواب : أن النبوة أخص من الولاية الثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون}.

الإيمان بنبينا ﷺ

اصطفاء الله لنبيه ﷺ : قال الطحاوي - رحمه الله : [وإن محمداً عبده المصطفى..]، والاصطفاء بمعنى الاجتباء، والارتضاء.

وكمال المخلوق يكون بتحقيقه العبودية لله تعالى، لذا ذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء : {سبحان الذي أسرى بعبده}، وقال : {فأوحى إلى عبده ما أوحى}، ويقول المسيح عليه السلام يوم القيامة إذا طلبوا منه الشفاعة : (اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) رواه البخاري ومسلم.

أدلة نبوة محمد ﷺ

الدليل الأول : قرائن الحال؛ تدل على صدقه ﷺ.

الدليل الثاني : إنكار رسالته ﷺ طعن في الله جلالة.

بيان الدليل الأول (قرائن الحال) :

١. خديجة رضي الله عنها وصفت النبي عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم عندما جاءه الوحي وقال : (إني قد خشيت على نفسي، فقالت: كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف..) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

٢. قال النجاشي للصحابة ﷺ لما استقرأهم القرآن فقرؤا عليه : (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) أخرجه أحمد.
٣. قال ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بما رآه من أمر الوحي : (هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى) أخرجه البخاري.
٤. هرقل ملك الروم لما سأل أبا سفيان عن أحوال النبي ﷺ فأجابه. فقال هرقل : (هذه صفة نبي) أخرجه البخاري.

بيان الدليل الثاني (إنكار الرسالة طعنٌ في الله ﷻ) :

لأن الله تعالى طيلة ثلاث وعشرين سنة يؤيد نبيه ﷺ وينصره، ويعلي أمره، ويمكّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، ويجيب أيضاً دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره. ولا ننكر أن بعض الكذّابين قام في الوجود ، وظهرت له شوكة ولكن لم يتم أمره ، ولم تطل مدته.

والكفار يعلمون ذلك، قال تعالى : {أم يقولون شاعر نتريص به ريب المنون ، قل تربصوا فإني معكم من المتريصين}.

بعض خصائص وفضائل النبي ﷺ

(١) خاتم النبيين :

قال الطحاوي - رحمه الله : [وإنه خاتم الأنبياء، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى]، قال تعالى : {ولكن رسول الله وخاتم النبيين}، وقال ﷺ : (إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد، وأنا الماحي ، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) إمام الأتقياء :

قال الطحاوي - رحمه الله : [وإمام الأتقياء]، والإمام : الذي يؤتم به، أي يقتدون به، قال تعالى : {قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله}، وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

(٣) سيد المرسلين :

قال الطحاوي - رحمه الله: [وسيد المرسلين]، قال ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) أخرجه مسلم، وما ورد من النهي عن تفضيل ﷺ على الأنبياء كما ثبت من حديث : (لا تفضلوني على موسى) ، وقوله : (لا تفضلوا بين الأنبياء)؛ فيجاب عنه بجوابين :

- أن المذموم من التفضيل ما كان على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول.
- النهي عن التفضيل الخاص ، أي لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه.

(٤) الخلة والمحبة :

قال الطحاوي - رحمه الله : [وحيب رب العالمين]، صح عنه ﷺ انه قال: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) وقال في حديث آخر : (ولكن صاحبكم خليل الرحمن).

(٥) عموم بعثته ﷺ :

قال الطحاوي - رحمه الله: [وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى وبالنور والضياء]، قال تعالى حكاية عن قول الجن : { يا قومنا أجيئوا داعي الله }، وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى فقد قال تعالى : { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً }، وقال ﷺ : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي - وذكر منها - وبعثت إلى الناس عامة) أخرجاه في الصحيحين، وقد كذب النصارى في ادعائهم أنه رسول للعرب خاصة حيث إنه ﷺ أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض وخاطب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام.

(٦) الإسراء والمعراج :

قال الطحاوي - رحمه الله : [والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي ﷺ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى]، والمعراج من العروج، أي : الآلة التي يعرج بها، وهو من المغيبات التي نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، والإسراء بالنبي ﷺ كان بجسده في اليقظة، قال تعالى : {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى

المسجد الأقصى}، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، ثم لو كان الإسراء به منامًا لما كان هناك داعٍ لأن يكذبه مشركو قريش.

﴿مسألة : هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء؟﴾

الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وهو الذي اختاره، شارح الطحاوية ابن أبي العز، وابن حجر في الفتح.

﴿الإيمان باليوم الآخر﴾

مَهَيَّدًا : الروح خلق من أعظم مخلوقات الله شرفها الله وكرمها غاية التشريف والتكريم فنسبها لذاته العلية في كتابه قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، ومن جلاله وعظمته هذا التشريف لهذا المخلوق أن الله اختص بالعلم الكامل بالروح فلا يمكن لأي مخلوق كائن من كان أن يعلم كل العلم عن هذا المخلوق إلا ما أخبر به الله تعالى، قال الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

الحديث عن الروح

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح المؤمنين]

حقيقة الروح : الروح جسم نوراني علوي، مخالف لماهية الجسم، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، والدهن في الزيتون، وقد أخبر الله بتوفيقها وإمسакها وإرسالها، ووصفها بالإخراج والخروج والقبض؛ قال تعالى : {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى..}، وقال تعالى : {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم..}، وقال ﷺ : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر).

هل الروح قديمة أم مخلوقة؟

أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام على أن الروح محدثة مخلوقة، مصنوعة مربية مدبرة، قال الله تعالى : {الله خالق كل شيء}، ومن قال بأن الروح قديمة استدل بقول الله تعالى : {إذا سويته ونفخت فيه من روحي}، والجواب:

المضاف إلى الله تعالى نوعان:

- إضافة صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها وهو الله وَعَلَيْكُمْ.
- إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، وهي إضافة تقتضي التخصيص والتشريف.

هل النفس هي الروح؟ : النفس والروح يتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة.

مسميات النفس :

- الروح إذا اتصلت بالبدن تسمى نفساً.
- وتطلق النفس على الدم ، حيث يقول الفقهاء : أصاب دماً.
- والنفس : العين، يقولون أصابت فلاناً نفس : أي عين.
- والنفس : الذات ، قال تعالى : {فسلموا على أنفسكم}، {فلا تقتلوا أنفسكم}.

مسميات الروح :

- النفس إذا جُرِّدت عن البدن تسمى روحاً.
- تطلق الروح على القرآن، قال تعالى : {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا}.
- والروح جبريل عليه السلام قال تعالى : {نزل به الروح الأمين}.
- الهواء المتردد في بدن الإنسان.
- القوى التي في البدن : الروح الباصر، الروح السامع.

مراتب النفوس

لابن آدم ثلاثة أنفس :

الأولى : مطمئنة، قال تعالى : {يا أيها النفس المطمئنة}.

الثانية : لوامة، قال تعالى : {ولا أقسم بالنفس اللوامة}.

الثالثة : الأمارة، قال تعالى : {إن النفس لأمارة بالسوء}.

والتحقيق : أنها نفس واحدة، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة.

هل تموت الروح؟

الصواب : أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها عنها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تفتنى وتعدم بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب، قال تعالى : {لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى}، وتلك الموتة هي مفارقة الروح الجسد.

عذاب القبر ونييمه

قال الطحاوي - رحمه الله : [وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران]

أدلته من القرآن والسنة : قال تعالى : {وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}، وقال تعالى : {وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون}، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً، فقال : (استعينوا بالله من عذاب

القبر) مرتين أو ثلاثاً، ثم قال : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً) ثم قال : (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى جلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة - وفي رواية المطمئنة - اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فيأتيه ملكان شديداً الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول : ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول : ديني الإسلام، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ، فيقولان له : وما أعلمك؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينتهره فيقول : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ : {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا} فيقول : ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ فينادي مناد في السماء، أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة).

وفيه عن العبد الكافر : (ويأتيه ملكان شديداً الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما دينك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال : محمداً! فيقول : هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك! فيقال : لا دريت ولا تلوت، فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (مرّ النبي ﷺ بقبرين ، فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة . فقالوا : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) أخرجه البخاري ومسلم.

عذاب القبر ونعيمه بلا كيفية معلومة

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته.

والروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام :

- تعلقها به في بطن الأم جنيناً.
- تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
- تعلقها به في حال النوم من وجهه، ومفارقتها له من وجهه.
- تعلقها به في البرزخ فإنه ثبت في الصحيحين أن الميت يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه.
- تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن.

والحاصل أن الدور ثلاث :

- ١) دار الدنيا : وجعل الله أحكامها على الأبدان والأرواح تبع لها.
- ٢) دار البرزخ : وجعل الله أحكامها على الأرواح والأبدان تابعة لها.
- ٣) دار القرار : وفيها الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.

سؤال القبر للروح والجسد معاً : الأحاديث الصحيحة تبين أن عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به، وليعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبراً لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وسؤال القبر يظهر من مجمل النصوص أنه ليس خاصاً بهذه الأمة.

هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

جوابه أنه نوعان :

الأول : دائم كما قال تعالى : {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}، وفي قصة الكافر من حديث البراء بن عازب : (ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة).

الثاني : أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه.

مستقر الأرواح بعد الموت :

الأرواح في البرزخ متفاوتة، فمنها : أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنها : أرواح في حواصل طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وهي أرواح بعض الشهداء لأن بعض الشهداء تحبس روحه عن دخول الجنة حتى يقضى دينه، ومنها : ما يكون محبوساً على باب الجنة، أو محبوساً في قبره، أو محبوساً في الأرض، ومنها : أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح أكلة الربا تسبح في نهر الدم وتلقم الحجارة كل ذلك تشهد له السنة.

﴿ ما ينتفع به الميت من عمل الأحياء ﴾

قال الطحاوي - رحمه الله : [وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات]

موطن الاتفاق في هذا الأمر

اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين :

(١) ما تسبب إليه الميت في حياته، ودليله قول النبي ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا

من ثلاث : صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده) أخرجه مسلم

وغيره.

(٢) دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج.

موطن الخلاف

اختلفوا في العبادات البدنية، كالصوم والصلاة، وقراءة القرآن والذكر.

ذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف : إلى وصولها، والمشهور من مذهب مالك والشافعي : عدم وصولها، وذهب أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره.

الأدلة على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه

دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

(١) الكتاب : قال تعالى: {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} فدلّت الآية على انتفاع الأموات باستغفار الأحياء.

(٢) السنة : في وصول الدعاء : ما صح من الدعاء للميت في صلاة الجنائز ، وبعد دفنه، وعند زيارة القبور، وفي الصدقة : حديث عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله، إن أمي أفطنت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال : نعم) أخرجه البخاري، وفي الصوم : قال ﷺ : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) أخرجه البخاري ومسلم، وفي الحج : أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال : (نعم حجي عنها) أخرجه البخاري.

(٣) الإجماع : دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنائز، وأجمع المسلمون على أن قضاء دينه يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من غير تركته.

(٤) القياس : نقول : الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته، وكل ذلك جار على قواعد الشرع وهو محض القياس.

الجواب على استدلال النافين

١. استدلال النافون بقوله تعالى : {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}، ويجاب عنه بجوابين :

الأول : أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، وأنكح الأزواج، فترحموا عليه ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه.

الثاني : أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وفي هذا قطع لطمع نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

٢. وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية، فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت، وكذلك عبادة الحج ببدنية، وليس المال ركناً فيه، حيث إن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات، من غير شرط المال.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها للميت تطوعاً بغير أجره فهذا يصل إليه ثوابه كما يصل ثواب الصوم والحج والدعاء الذي أذن لهم فيها، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وهو مذهب الحنفية.

أشراط الساعة

قال الطحاوي - رحمه الله : [ونؤمن بأشراط الساعة : من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها].

عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ، فَقَالَ : " مَا تَذَاكَرُونَ ؟ " ، قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ ، قَالَ : " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالدَّجَالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ بِالمَشْرِقِ ، وَخُسُوفٍ بِالمَغْرِبِ ، وَخُسُوفٍ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ "

رواه مسلم.

ذكر الدجال ونزول عيسى عليه السلام

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الدجال ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها) أخرجه البخاري ومسلم.

ويخرج يأجوج ومأجوج في أيام نزول المسيح بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم.

خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها

قال تعالى: {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}، وقال تعالى: {يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون}، وخروج دابة الأرض أول الآيات الأرضية التي ليست مألوفة، وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية غير المألوفة.

البعث والجزاء

قال الطحاوي - رحمه الله: [ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان]

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فقد جاء في القرآن أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة، إلا أن نبينا محمد ﷺ بين تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخيل والخطاب الجمهوري، وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء أخبر بها الله من حين أهبط آدم عليه السلام فقال تعالى: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتع إلى حين) * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وما حكاه الله من مقال إبليس اللعين: (رب فأنظرنني إلى يوم يبعثون)، (قال فإنك من المنظرين) * إلى يوم الوقت المعلوم) وأما قول نوح عليه السلام فكما حكاه الله ﷻ: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم

إخراجاً) وكذلك إبراهيم عليه السلام : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما نجاه : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى)، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها : (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمت العذاب على الكافرين).

من حجج القرآن في إثبات المعاد

من هذا قوله : (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحي العظام وهي رميم)، (قل يحيها الذي أنشأها أول مرة)، وكما في القرآن من مثل هذا الاحتجاج كما في قوله تعالى : (يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) إلى أن قال : (وأن الله يبعث من في القبور)، وقوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين) إلى أن قال : (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)، وذكر الله قصة أصحاب الكهف وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة وتسع سنين قمرية وقال فيها : (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا يرب فيها).

كيفية الإعادة

القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء : أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحمياً، ثم أنشأ خلقاً سوياً؛ كذلك الإعادة : يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، وفيه يُركب)

جزاء الأعمال

وقوله : (وجزاء الأعمال)؛ قال تعالى : (ملك يوم الدين)، (يومئذ يوفهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)، والدين هو الجزاء، وفي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

قوله : (والعرض والحساب)؛ قال تعالى : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)، وروى البخاري رحمه الله عن عائشة - رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا) فقال رسول الله ﷺ : (إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب).

يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنة تعالى يعفو ويصفح.

الحوض

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا، فمنها : ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء). والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض : أنه حوض عظيم ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك وفي غاية الاتساع عرضة وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وقد ورد في أحاديث (أن لكل نبي حوضاً) كما في حديث سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ (إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجو الله أن أكون أكثرهم وارده).

الميزان

وقوله : (والميزان)؛ أي : ونؤمن بالميزان، قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)، قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

وزن صحائف الأعمال

صح أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان وفي هذا ظهور عدل الله سبحانه لجميع عباده، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجْلًا، كُلُّ سِجِلٍ مِثْلُ مِثْلِ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنَكِّرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجْلَاتُ؟ فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجْلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجْلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقد ورد في نصوص أخرى أن العامل يوزن مع عمله، حيث قال الله تعالى: {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً}، وعندما ضحك بعض القوم من دقة ساقى ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد). كما توزن الأعمال نفسها، ففي الحديث: (والحمد لله تملأ الميزان).

الصراط

هو جسر على جهنم؛ قال تعالى: {وإن منكم إلا واردها} والمراد بالورود أحد معنيين:

الأول: المرور على الصراط.

الثاني: الدخول؛ فكل الناس يدخلون النار ثم تكون على المؤمنين برداً وسلاماً، وهو ما اختاره ابن عباس رضي الله عنهما، ويؤيده قوله ﷺ: (يرد الناس النار كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم) أخرجه احمد وغيره.

وجود الجنة والنار وأبديتهما

قال الطحاوي - رحمه الله: [والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً].

اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنكرت ذلك المعتزلة والقدرية، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة !!

وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة.

أدلة وجودهما الآن :

قال تعالى عن الجنة : {أعدت للمتقين}، وعن النار : {أعدت للكافرين}، وقال تعالى : {ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى}.

وثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره : (ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ماهي، قال : ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا تراها المسك). ومعنى جنابذ : أي قباب.

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة)؛ وهذا صريح في دخول الناس الجنة قبل يوم القيامة.

🕯️ شبهة أن الجنة لم تخلق بعد وجوابها

قال البعض : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفتى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى : {كل شيء هالك إلا وجهه}.

والجواب : أن كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف الجنة.

الأدلة على أبدية الجنة

الأدلة على أبدية الجنة وأنها لا تفتى ولا تبديد مما يعلم بالضرورة، وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن {خالدين فيها أبداً}، وقال تعالى : {إن هذا لرزقنا ما له من نفاد}، وقال تعالى : {أكلها دائم وظلها}، وقال تعالى : {وما هم منها بمخرجين}، وقال صلى الله عليه وسلم : (ينادي مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً).

القول في أبدية النار وأدلتها

للناس في أبدية النار ودوامها ثمانية أقوال، صحَّحَ عن أهل السنة منها قولان، هما :

الأول : أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في السنة، ثم يبقيها ما يشاء، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه، واستدلوا بقول الله تعالى : {الابثين فيها أحقاباً}، وهذا القول منقول عن : عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنه وغيرهم.

الثاني : أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة ويبقي فيها الكفار، بقاءً لا انقضاء له، كما قال الطحاوي؛ ومن أدلة هذا القول، قوله تعالى : {وما هم بخارجين من النار}، وقوله تعالى : {لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها}؛ والله أعلم بالصواب.

الرؤية

قال الطحاوي - رحمه الله : [والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا : {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا]

المخالف في الرؤية : الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة.

أدلة الرؤية

الدليل الأول : قوله تعالى : {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} وهو أظهر الأدلة، وفيه تأكيد صريح على نظر العين إلى الرب عز وجل في الآخرة، وذلك من خلال ما يلي :

- إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله.

- تعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين.

- إخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه.

الدليل الثاني : قوله تعالى : {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}، فالحسنى : الجنة، والزيادة : هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم.

الدليل الثالث : الأحاديث المروية عن النبي ﷺ الدالة على الرؤية متواترة.

يقول الناظم :

مما تواتر حديث مَنْ كَذَبَ *** وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاخْتَسَبَ
ورؤية شفاعته والحوض *** وَمَسُحُ خُفَّيْنِ وَهَدَى بَعْضُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟) فَقَالُوا : لا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : (هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ " فَقَالُوا : لا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (أَمَّا إِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ هَكَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

الرد على استدلالات نفاة الرؤية

استدل المعتزلة في نفي الرؤية، بقوله تعالى : {لن تراني}، وبقوله تعالى : {لا تدركه الأبصار}.

والجواب على الآية الأولى {لن تراني}، من وجوه :

- ✓ أنه لا يُظن على كليم الله وهو موسى ﷺ أن يسأل ما لا يجوز عليه.
- ✓ أن الله لم ينكر عليه سؤاله، وقد أنكر على نوح سؤاله نجاه ابنه.
- ✓ أنه تعالى قال : {لن تراني} ولم يقل : إني لا أرى، ولن لا تقتضي النفي المؤبد.

والرد على استدلالهم بقوله تعالى : {لا تدركه الأبصار}، فنقول :

المعنى أنه يُرى ولا يدرك ولا يحاط به، والإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدرزائد على الرؤية؛ بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

هل يراه أحد في الدنيا بعينه؟

اتفقت الأمة على انه لا يراه أحد بعينه، ولم يتنازعو في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة، وفق ما تم دراسته مسبقاً في المعراج به ﷺ وأنه رأى ربه بعين قلبه.

الرد على من تأول الرؤية بالعلم

قال الطحاوي - رحمه الله : [ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين].

في هذا رد على المعتزلة ومن يقول بقولهم في نفي الرؤية، الذين تأولوا الرؤية بالعلم، فإن النبي ﷺ قال : (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر..) فهل يحتمل : أنكم تعلمون ربكم..!! والرؤية المقترنة بالقمر والشمس في الحديث هي رؤية بصرية وليست قلبية.

الشفاعة

قال الطحاوي - رحمه الله : [والشفاعة التي ادّخرها لهم حق، كما روي في الأخبار].

أنواع الشفاعة :

الأولى : الشفاعة العظمى لأهل الموقف لفصل القضاء بينهم، والخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

الثانية : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الثالثة : شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

الرابعة : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة.

الخامسة : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب؛ كما ورد في حديث عكاشة بن محصن.

السادسة : شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

السابعة : شفاعته ﷺ في أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

الثامنة : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، فيخرجون منها؛ وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً.

أقوال الناس في الشفاعة

الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال :

١. المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم : يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة في الدنيا.
٢. المعتزلة والخوارج : أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر.
٣. أهل السنة والجماعة : يُقرّون شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً كما ثبت في حديث الشفاعة الصحيح.

الإيمان بالقدر

أقوال الناس في القدر : قال الطحاوي - رحمه الله : [وقدّر لهم أقداراً].

قال تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر ٤٩] ، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : (قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة).

والذي عليه أهل السنة والجماعة : أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه دنياً.

وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا : أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، هربوا إلى هذا لتلا يقولوا : شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه !

فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرمنه ! فإنهم يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد، لأنه لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل.

الأدلة على قول أهل السنة والجماعة

قال تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [السجدة ١٣]

ومنشأ الضلال : من التسوية بين : المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضى؛ فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا.

فقال الجبرية : الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً.

وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدره، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

﴿إِذَا كَانَ الْكُفْرُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ فَكَيْفَ نَكَرَهُ؟﴾

فإن قيل : إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله، فكيف ننكره ونكرهه؟

فالجواب : أن يقال : أولاً : نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخط ويمقت.

ويقال ثانياً : القضاء له وجهان؛ أحدهما : تعلقهم بالرب سبحانه ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به.

والوجه الثاني : تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به، مثال ذلك : قتل النفس، له اعتباران، فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره نرضى به، ومن حيث صدر من القاتل وباشره أقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به.

قال الطحاوي - رحمه الله : [وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه].
الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب : وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب
وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدره فلا حاجة للأسباب ! وهذا فاسد، وقد كان النبي
ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب.

علمه السابق المحيط بكل شيء

قال الطحاوي - رحمه الله : [لم يخف عليه شيء قبل ان يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل
أن يخلقهم].

يعلم سبحانه ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى : (ولو علم
الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)، وفي ذلك رد على الرافضة
والقدرية الذين قالوا : إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده.

علمه بعدد من يدخل الجنة والنار

قال الطحاوي - رحمه الله : [وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد
من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما
علم منهم أن يفعلوه].

قال تعالى : (إن الله بكل شيء عليم)، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال : كنا في جنازة في بقيع
الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ ففعد فقعدنا حوله، ومعه مخرصة، فنكس رأسه فجعل ينكت
بمخرصته ثم قال : ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها في الجنة والنار، وإلا قد
كتبت شقية أو سعيدة، قال : فقال رجل يا رسول الله، أفلا نمكث على كتبنا وندع العمل
فقال : (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة
فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. ثم قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة
فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة) ثم قرأ: (فأما

من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى). أخرجه البخاري ومسلم.

الأعمال بالخواتيم

قال الطحاوي - رحمه الله : [وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله].

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) خرجه في (الصحیحین) وزاد البخاري : (وإنما الأعمال بالخواتيم).

الإيمان باللوح والقلم

قال الطحاوي : [ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم].

قال الله تعالى : (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ)؛ اللوح المذكور هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقادير، كما في (سنن أبي داود)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال : يا رب، وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة).

واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين، أصحهما : أن العرش قبل القلم، لما ثبت في (الصحیح) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، قال : قال رسول الله : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء).

قال الطحاوي - رحمه الله : [فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : كنت خلف رسول الله يوماً، فقال : (يا غلام ألا أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف).

أنواع الأقلام

- القلم الأول : العام الشامل لجميع المخلوقات.
- القلم الثاني : حين خلق آدم ﷺ.
- القلم الثالث : حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه.
- القلم الرابع : الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين.

علم الله السابق لا ناقض له

قال الطحاوي - رحمه الله : [وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه].

وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل، وقالوا : إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الإرادة الإلهية

قال الطحاوي - رحمه الله : [ولا يكون إلا ما يريد].

هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وسموا قدرية لإنكارهم القدر.

أما أهل السنة فيقولون : إن الله وإن كان يريد المعاصي قادراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها.

نوعا الإرادة في كتاب الله

والمحققون من أهل السنة يقولون : الإدارة في كتاب الله نوعان :

١. إرادة قدرية كونية خلقية : كقوله تعالى : (ولكن الله يفعل ما يريد).

٢. إرادة دينية أمرية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضى، كقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يعينه عليه؟

قال الطحاوي - رحمه الله : [وأصل القدر سر الله في خلقه].

فإن قيل : كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يعينه عليه؟

يقال : لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة؛ قال تعالى : (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم...) ثم ذكر بعض المفاصد المترتبة على خروجهم، فقال : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة..) خبالاً : فساداً وشرأ، ولأوضعوا : سعوا بالفساد.

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه؟

اعلم أن المراد نوعان : مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، والمراد لغيره، قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، مكروه له وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتأكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوته؛ فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره.

حكمة خلق إبليس

- أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات، التي هي أخبث الذوات وشرها، في مقابلة ذات جبريل عليه السلام، التي هي من أشرف الذوات.
- ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل : القهار، والمنتقم.
- ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وبعفه ومغفرته وستره وتجاوزة.
- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير.
- حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية.

مشيئة الله النافذة

قال الطحاوي - رحمه الله : [وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً].

قال ابن أبي العز : "يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك".

القضاء

أما القضاء الكوني؛ ففي قوله تعالى : (فقضاهن سبع سمواتٍ في يومين)، والقضاء الديني الشرعي في قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه).

الأمر

وأما الأمر الكوني ففي قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)، والأمر الشرعي في قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان).

ولا يظلم ربك أحداً

قالت القدرية : إن الظلم إضرار غير مستحق أو عقوبة العبد على ما ليس من فعله أو عقوبته على ما هو مفعول منه ونحو ذلك.

قالوا : فلو كان الله خالقاً لأفعال العباد مقدرًا لها، ثم عاقبهم عليها لكان ظالمًا، وبناء عليه نفوا أن يقدر الله الشر وأن يخلقه.

وقالت الجبرية : إن الظلم هو المحال الممتنع لذاته كالجمع بين الضدين، وأما ما تصور وجوده فهو عدل كائنًا ما كان حتى إنه لو عذب رسله وأولياءه أبد الأبدين وأبطل حسناتهم وحملهم أوزار غيرهم وعاقبهم عليها، وأثاب أولئك على طاعات غيرهم، وحرّم ثوابها فاعلمها لكان ذلك عدلاً محضاً.

وقال أهل السنة والحديث : الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو سبحانه حكيم عدل لا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ولا يعاقب أهل البر والتقوى.

عدل الله وفضله

قال الطحاوي - رحمه الله : [فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد].

روى أبو داود في الحديث المرفوع : (لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم).

فأهل السنة قابلوا ذلك بالتصديق، وعلموا من عظمة الله وجلاله، قدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم؛ إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، ولو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه، لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً لهم، وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن تنجوا به من النار، أو يدخل الجنة، (لن ينجي أحداً منكم عمله)، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل)

الأجال بيد الله وحده

قال الطحاوي - رحمه الله : [ضرب لهم أجالا].

يعني : أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى : {إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} وعند المعتزلة : المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكان له أجلان، وهذا باطل.

لا راد لقضائه

قال الطحاوي - رحمه الله : [آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلا من عنده].

الإيقان : الاستقرار، من يقن الماء في الحوض إذا استقر، ولقد أحسن القائل :
مَا شِئْتُ كَانْ، وَإِنْ لَمْ أَشَأْ *** وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

وعن وهب بن منبه، أنه قال : نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه .

شبهتان حول المشيئة وردُّهُمَا

قال الطحاوي - رحمه الله : [وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء الله لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن].

قال تعالى : {وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما}، وقال : {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العلمين}.

ومن أضل سبيلا وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

الشبهة الأولى وجوابها :

قوله تعالى : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا}، وقوله تعالى : {رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض}، فقد ذمهم الله حيث جعل الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، وإبليس أضف الإغواء إلى الله.

الجواب : أنه أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا : لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه فرد الله عليهم ذلك أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، وأما قول إبليس : (رب بما أغويتني)، إنما ذم على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالقدر وإثباته له.

الشبهة الثانية : شبهة احتجاج آدم بالقدر على الذنب :

يقولون : ما تقولون في احتجاج آدم عليه السلام على موسى عليه السلام بالقدر، إذ قال له : أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن أُخلق بأربعين عاماً؟ وشهد النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم حج موسى، أي : غلبه بالحجة؟

الجواب : الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعاييب.

وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعاييب، ويصبر على المصائب ..

الهدى والضلال

قال الطحاوي - رحمه الله : [يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً].

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ودليلهم قوله تعالى : {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، وقوله تعالى : {من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم}.

خلق أفعال العباد

قال الطحاوي - رحمه الله : [وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد]

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية :

فزعمت الجبرية : أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش، وإضافتها إلى الخلق مجاز!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا : إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعليق لها بخلق الله تعالى.

والمشهور عندهم : أن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة والله خلقهم وخلق أفعالهم، أما القول بالكسب فهو قول الأشاعرة، وإذا طولبوا بالفرق بين الكسب والفعل لم يذكروا فرقاً معقولاً.

قول أهل الحق : أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى لا خالق لها سواه، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

الجبرية : غلوا في إثبات القدر؛ فنفوا صنع العبد أصلاً.

والقدرية : نفاة القدر؛ جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى.

فكل دليل صحيح يقيمه الجبري؛ فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري؛ فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مرید له مختار له حقيقة

ذكر أدلة الجبرية

١. قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه سبحانه.
٢. قالوا : والجزاء غير مرتب على الأعمال لقوله ﷺ : (لن يدخل أحد الجنة بعمله).

ذكر أدلة القدرية

١. قوله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين).
٢. قالوا : والجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، كما قال تعالى : {جزاء بما كانوا يعملون}.

نقض أدلة الفريقين

١. فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فهو دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً بقوله (إذ رميت) وما أصبت إذ حذفتم ولكن الله أصاب.
٢. وأما ترتيب الجزاء على الأعمال، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات فالمنفي في قوله ﷺ : (لن يدخل الجنة أحد بعمله) باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون) ونحوها، باء السبب؛ أي بسبب عملكم.
٣. وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فمعنى الآية : أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا.

لا منافاة بين إثبات القدر وكون العبد محدثاً لفعله

فقوله : (فألهمها فجورها وتقوها)؛ إثبات للقدر بقوله : (فألهمها)؛ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية.

شبهة المعتزلة وردّها

قالوا : كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟
فأين العدل في تعذيبهم؟.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال : إن ما يبئى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، يبقى أن يقال :
فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ يقال : هو عقوبة أيضاً على عدم فعل
ما خلق له وفطر عليه فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه، عوقب على ذلك بأن زين له
الشیطان ما يفعله من الشرك والمعاصي.

أفعال العباد نوعان

١. نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، كحركات المرتعش (اضطراري).
 ٢. ونوع يكون منه مقترناً لإيجاد قدرته واختياره (اختياري).
- والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري.

تعالیه سبحانه عن الأضداد والأنداد

قال الطحاوي - رحمه الله : [وهو متعال عن الأضداد والأنداد]

كما قال تعالى : (ولم يكن له كفواً احد)، ويشير - رحمه الله - بنفي الضد والند، إلى الرد على
المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

الحسنة والسيئة

قال تعالى : {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك}، ومعنى : من
نفسك : أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، والحسنة : النعمة،
والسيئة : البلية.

الله لا يخلق شراً محضاً

قال ﷺ : (والخير كله بيدك، والشر ليس إليك) أي : فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه فيه حكمة، هو باعتبارها خير.

والشر لا يضاف إلى الله مطلقاً قط، وإنما :

- يدخل في عموم المخلوقات كقوله تعالى : {الله خالق كل شيء}، وقوله تعالى : {كل من عند الله}.

- أن يضاف إلى السبب : كقوله تعالى : {من شر ما خلق}.

- أن يحذف فاعله، كقول الجن : {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً}.

القدر سر الله في خلقه

قال الطحاوي - رحمه الله : [وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه : {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] فمن سأل : لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب؛ كان من الكافرين].

قال علي رضي الله عنه : القدر سر الله، فلا تكشفه.

والتعمق هو المبالغة في طلب الشيء، والمعنى : أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان، والذريعة : الوسيلة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال : وقد وجدتموه؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان.

والإشارة إلى قوله : (ذاك صريح الإيمان) إلى تعاضمهم أن يتكلموا به.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر قال : فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال : فقال لهم : "ما لكم تضربون كتاب الله ببعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم"، قال فما غبظت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده ما غبظت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده). وتفقأ : يعني تكسر.

لا يسأل عما يفعل

مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله : على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته.

علم القدر علم مفقود

قال الطحاوي - رحمه الله : [فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود ، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود].

ويعني بالعلم المفقود : علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه.

ويعني بالعلم الموجود : علم الشريعة، أصولها وفروعها فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين.

خطورة البحث عن القدر

قوله الطحاوي - رحمه الله : [فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً].

وقد قال تعالى : {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول}.

خاتمة في القدر

قال الطحاوي - رحمه الله : [وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه : {وخلق كل شيء فقدره تقديراً}، وقال تعالى : {وكان أمر الله قدراً مقدوراً}]

الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

تمت بحمد الله وتوفيقه



والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أعدّها : الفقير إلى عفو ربّه

أبو عبدالمحسن - ١٤٣٦ هـ

ادكر ربي برحمه صادقه منك...